مقدمة المؤلف

«الحمد لله الكريم المنان، ذي الطول والفضل والإحسان، الذي هدانا للإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان، ومن علينا بإرساله إلينا أكرم خلقه عليه، وأفضلهم لدينه حبيبه وخليله، وعبده ورسوله محمدًا ﷺ فمحا به عبادة الأوثان، وأكرمه ﷺ بالقرآن، المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان، التي تحدى بها الإنس والجان، وأفحم بها جميع أهل الزيغ والطغيان، وجعله ربيعًا لقلوب أهل البصائر والعرفان لا يخلق على كثرة الرد وتغاير الأحيان، ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان، وضمن حفظه من تطرق التغير إليه والحدثان، وهو محفوظ بحمد الله وفضله ما اختلف الملوان، ووفق للاعتناء بعلومه من اصطفاه من أهل الحذق والإتقان، فجمعوا فيها من كل فن ما ينشرح له صدر أهل الإتقان.

أحمده على ذلك وغيره من نعمه التي لا تحصى، خصوصًا على نعمة الإيمان، وأسأله المنة علي وعلى جميع أحبابي وعلى سائر المسلمين بالرضوان. وأشهد أن لا إنه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة محصلة للغفران، منقذة صاحبها من النيران، موصلة له إلى سكنى الجنان.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى من على هذه الأمة -زادها الله تعالى شرفًا- بالدين الذي ارتضاه -دين الإسلام- وبإرساله إليها محمدًا خير الأنام، عليه أفضل الصلوات والبركات والسلام، وأكرمها بكتابه أفضل الكلام، وجمع فيه سبحانه وتعالى جميع ما يحتاج إليه من أخبار الأولين والآخرين، والمواعظ، والأمثال، والآداب، وضروب الأحكام، والحجج القطعيات الظاهرات في الدلالة على وحدانيته، وغير ذلك مما جاءت به رسله -صلوات الله وسلامه عليهم- الدامغات لأهل الإلحاد والضلال

الطغام، وضعف الأجر في تلاوته، وأمرنا بالاعتناء به والإعظام، وملازمة الآداب معه، وبذل الوسع في الاحترام» [من مقدمة التبيان في آداب حملة القرآن - للإمام النووي].

ويقول الإمام ابن الجزري في مقدمة منظومته الموسومة بـ «طيبة النشر»:

وبعد: فالإنسان ليس يشرف ... إلا بما يحفظه ويعرف
لذاك كان حاملوا القرآن ... أشراف الأمة أولى الإحسان
وإنهم في الناس أهل الله ... وإن ربنا بهم يباهي
وقال في القرآن وكفى ... بأنه أورثه من اصطفى
وهو في الأخرى شافع مشفع ... فيه وقوله عليه يسمع
يعطى به الملك مع الخلد إذا ... توجه تاج الكرامة كذا
يقرأ ويرقى درج الجنان ... وأبواه منه يكسيان
فليحرص السعيد فى تحصيله ... ولا يمل قط من ترتيله

ويقول الإمام الشاطبي في وصف القرآن مذكرًا بالحرص على حفظه وتلاوته وتدارس علومه.

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ ... فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ
وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً ... جَدِيداً مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاَ
وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ ... كَالاتْرُجِّ حَالَيْهِ رِيحًا وَمُوكَلاَ
هُوَ الْمُرْتَضَى أَمَّا إِذَا كَانَ أُمَّهُ ... وَتَمَّمَهُ ظِلُّ الرِّزَانَةِ قَنْقَلاَ
هُوَ الْحُرُّ إِنْ كانَ الْحَرِيّ حَوَارِياً ... لَهُ بِتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلاَ
وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغْنى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً ... وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى
يُنَاشِدُهُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ ... وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِى بِهِ مُتَمَسِّكاً ... مُجِلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما ... مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلاَ
فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ... أُولئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفْوَةُ المَلاَ
أُولُو الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ... حُلاَهُمُ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلاَ
عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً ... و بَعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْغُلاَ

وبعد: فإن شرف العلم من شرف المعلوم، وهل أجل من كلام الله المشتمل على الإيمان بالله والتوحيد له ونفي الند والشريك عنه، والأوامر التي أراد الله من عباده أن يمتثلوها، والنواهي التي أراد لهم أن يجتنبوها، مع ما فيه من أخبار الرسل السابقين ودعوتهم وجهادهم، ووصف الجنة والنار، إضافة إلى الأخلاق وتزكية النفوس والمعاملات بين العبيد بعضهم البعض، إلى غير ذلك من الآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات، مما ينظم حياة المؤمنين ويحقق لهم العز والسعادة في الدنيا والآخرة إن هم التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي ووقفوا عند حدوده.

وقد أحببت أن أسهم بتأليفٍ في علوم القرآن وآداب حملته، عسى الله أن يجعلنا من أهل القرآن ويحشرنا في زمرتهم، ويرزقنا شفاعة القرآن.

وقد جعلت الكتاب في صورة سؤال وجواب، تقريبًا وتيسيرًا وتسهيلاً، أسأل الله أن يضع له في الأرض قبولًا، ويكتب لي به في الكتاب عملاً صالحًا مقبولاً وأجرًا موفورًا، وأن يجعل لي به في قلبي نورًا، وفي الجنات درجاتٍ وحورًا.

وقد حرصت على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فستجد الكتاب خليطًا ما بين كتب علوم القرآن من المراجع الأصلية التي خطها المتقدمون، و الكتب المعاصرة التي سطرها المعاصرون، فهو توليفة من: الإتقان - للإمام السيوطي، والبرهان - للإمام الزركشي، ومناهل العرفان - للشيخ عبد العظيم الزرقاني، والتبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي إضافة إلى ما ألفه المعاصرون مثل: البرهان في تجويد القرآن - للشيخ محمد صادق قمحاوي، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع خليل القطان، ولمحات في علوم القرآن للشيخ محمد لطفي الصباغ. وغيرها.

obeikandl.com

وستجد في ثنايا الكتاب جملة من مباحث علوم القرآن ما بين: مكي ومدني، وعام وخاص، ومطلق ومقيد، وناسخ ومنسوخ، وتجويد وقراءات، وترتيب سور القرآن، وكتابة المصحف، ورسم القرآن، وأحكام الرسم العثماني، وترجمة معاني القرآن.

وأتبعتُ ذلك كله بطرفٍ من وصف لأشهر كتب التفاسير ومناهج المفسرين.

وقد ذكرت طرفًا من أحكام تجويد القرآن وآداب وأخلاق حملته، إذ أننا إلى قليل من الأدب والعمل أحوج منا إلى حفاظٍ للحروف والكلمات، مضيعين للمعاني والأحكام، لا يلتزمون بأوامر القرآن.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم».

وقال بعض السلف: كنا إذا أردنا طلب العلم تعلمنا له الأدب عشرين سنة.

وهكذا فإن الغاية المرجوة هي ضبط الحروف والمحافظة على الحدود والتزام الأوامر والبعد عن النواهي، حتى يكون القارئ والحافظ من السعداء في الدنيا الناجين في الآخرة. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد أوجب الله سبحانه النصيحة لكتابه، ومن النصيحة له: بيان آداب حملته وطلابه، وإرشادهم إليها، وتنبيههم عليها» [من مقدمة التبيان للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ].

وليُعلم أنه لا فلاح ولا نجاة لأمةِ القرآن إلا بالالتزام بتعاليمه والوقوف عند حدوده و تطبيق أحكامه، مع تلاوته والقيام به وتدارسه أناء الليل وأطراف النهار، عسى أن يرضى عنا ربنا.

وفي الختام أقول ما قاله الإمام الشاطبي رحمه الله في ختام منظومته الموسومة بـ «حرز الأماني» والمشتهرة بالنسبة إليه:

فَيا خَيْرَ غَفَّارٍ وَيَا خَيْرَ رَاحِمٍ ... وَيَا خَيْرَ مَأْمُولٍ جَداً وَتَفَضُّلاَ

أَقِلْ عَثْرَتِي وَانْفَعْ بِهَا وَبِقَصْدِهَا ... حَنَانَيْكَ يَا اللهُ يَا رَافِعَ الْعُلاَ
وَآخِرُ دَعْوَانَا بِتَوْفِيقِ رَبِّنَا ... أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَحْدَهُ عَلاَ
وَبَعْدُ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ عَلَى ... سَيِّدِ الْخَلْقِ الرِضَا مُتَنَخِّلاَ
مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ لِلْمَجْدِ كَعْبَةٌ ... صَلاَةً تُبَارِي الرِّيحَ مِسْكاً وَمَنْدَلاَ
وَتُبْدِي عَلَى أَصْحَابِهِ نَفَحَاتِهَا ... بِغَيْرِ تَنَاهٍ زَرْنَبًا وَقَرَنْفُلاَ

كتبه

إسلام محمود دربالة

مدير مركز أبحاث ودراسات المستقبل للإسلام

islamderbalah@hotmail.com

obeikandl.com